

الصراط المستقيم

[163] ولم ينقص أيده، وناهيك بنهج البلاغة في ذلك وغيره. فمنه: وإني لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا، وأجر في الأغلال مصفدا أحب إلي من ألقى إني ورسوله يوم القيامة طالما لبعض العباد، أو غاصبا لشئ من الحطام، وكيف أظلم وأجل النفس يسرع إلى البلا فلولها، ويطول في الثرى حلولها. ومنه: وإني لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي إني في نملة أسلبها جلب شعيرة، ما فعلت، وإن دنياكم عندي أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلني ونعيم يفنى، ولذة لا تبقى؟ ومنه: وإني إن دنياكم عندي أهون من عراق خنزير في يد مجذوم. دل هذا وغيره على غاية زهده، مع أن الدنيا بأسرها في يده لما أتقن من أصول الكيمياء لما يأتي مما نقلته عنه الفضلاء. أما غيره فزهده في الدنيا تابع لزهدها فيه فهو منقاد قهرا إليه بخلاف من أعرض عنها بحسب اختياره، كما تمدح به في بعض أشعاره: دنيا تخادعني كأنني لست أعرف حالها * مدت إلى يمينها فرددتها وشمالها ورأيتها محتاجة فوهبت جملتها لها قال الجاحظ: أبو بكر أزهده من مات عن بعير وعبد مع كثرة الفتوح والغنائم، ولم يتزوج من ذلك امرأة ولا اتخذ منه سرية وعلي مات عن مزارع و نخيل وأزواج وسراري. قلنا: أما زهد علي في مطعمه وملبسه فظاهر أنه لم يلحقه أحد إليه، ولا قارب ما اشتمل عليه، ولم يخلف سوى سبع مائة درهم يشتري بها خادما، وما كان له في حياته فلا خفاء أنه صرفه في صدقاته، وما ذكره من كثرة نسائه ففيه تعريض بالنبي صلى الله عليه وآله حيث مات عن تسع، وقد قال سفيان بن عيينة: كثير النساء ليس من الدنيا فإنه لم يكن أحد من الصحابة أزهده من علي وكان له سبعة عشر سرية، وأربع نسوة.
